

التعايش في الرؤية الإسلامية



في أجواء الاختلاف يكون التعايش على أساس التعددية التي يرتكبها الإسلام، هو الحل الكفيل بتحجج مشاكل الصراع والتضارب في الرؤى والأفكار والمعتقدات بشتى ألوانها. ولا يعني التعايش القبول بنسق واحد من التفكير والسلوك، وصهر الجميع في بوتقته، كما لا يعني التنازل عن الحق أو توزيعه على المتعابشين بنسبية متساوية، وفقاً لمفهوم التعددية Pluralism الذي يفهمه الغرب، بل يعني أن يحتفظ كل طرف بوضعه الخاص، ويفارس نشاطه الديني أو المذهبي أو الفكري أو السياسي، في إطار الحقوق والحرريات العامة التي يكفلها الإسلام بمضامينها المتوازنة والمرشدة، والتي لا تسمح لأي طرف بسلب حقوق الآخرين أو الأخلاقيات بأمن المجتمع، مهما بلغت قوته هذا الطرف عدداً وعدداً، والمصورة المثلثة للتعايش هي صورة دولة المدينة، التي كان اليهودي والنصراني يعيشان فيها بأمان إلى جانب المسلم وفي كنف الدولة الإسلامية، وكان الحبشي والروماني والفارسي يتمتعون فيها بكل حقوق المواطنة كالعربي تماماً، وهكذا تعيش المهاجرون إلى جانب الأنصار، وتعيش الأوس والخرج معاً، بل كان يعيش فيها أتباع التيارات الفكرية والسياسية، التي تشكل لوناً من المعاشرة، وفي المقدمة تيار المناافقين والمشركيين: (فُلْ يَمَا أَيّْهَا الْكَافِرُونَ * لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ * وَلَا أَرَدُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُونَ * وَلَا أَرَدُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُونَ (٥) لَكُمْ دِيْنُكُمْ وَلِيَ دِيْنِي) (الكافرون/ 1-6)، لقد كان الجميع يدركون حقوقهم وواجباتهم، ويمارسونها بالصورة التي قننها الإسلام.

وتستند الرؤية الإسلامية في مجال التعايش مع الآخرين إلى أساسين رئисين، هما :

1- المصلحة الإسلامية العليا على ضوء الواقع القائم.

2- الصلاة والرحمة الإنسانية وال العلاقات الأخلاقية.

ويستقي التشريع الإسلامي في كل مجاليه من هذين المعنيين فيعتبران من أهم سمات التشريع الإسلامي في شتى جوانبه. أما العناصر الرئيسية التي تحدد نوعية العلاقة بين المسلمين وغيرهم كآلية للتعايش فأهمها :

-1

الآمّة المثال: يصف القرآن الكريم الآمّة الإسلامية بالوسطية، ويريد به المثال الأسمى والأمّة الشاهدة التي كانت خير آمّة أخرجت للناس، وهذا العنصر يدفع الآمّة باتجاه السمو والتكميل في كل المجالات، والاستفادة الأكمل من تجارب الآخرين، ويعني ذلك الانفتاح على كلّ مجالات الحياة، وحمل رسالة إنسانية حضارية كبرى.

-2

المبدئية: وتقتضي بنوعين من التعايش: الأوّل بين المؤمنين، وهو تعايش أخوي، ويعني وحدة الأفراد في مجمل المسؤولون. والنوع الثاني مع الآخرين، ويحدد طبيعته مقدار قربهم أو بعدهم عن المبدأ الإسلامي، الذي يحدد مضمون التعايش معهم، كان يكون ودياً حسناً أو يشوبه القلق.

-3

نفي السبيل على المؤمنين: ويعني أن أي تصرف أو وضع معاهدة تؤدي إلى تفوق الكافرين على المسلمين يعد ملغيّاً من أصله: (وَلَئِنْ يَجْعَلَ اللَّهُمَّ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا) (النساء/ 141)، وهذه القاعدة تعد من القواعد الثانوية التي تستطيع الحكم على الأحكام الأولية بمجموعها. وهذا التوجه لا يعبر عن نوع من التكبر، إذ تعمل هذه القاعدة على أساس معايير إنسانية.

-4

التوعية والدعوة: فالتعايش لا يعني تجاوز حقائق الإسلام التي تؤكد استمرار التوعية والدعوة. ويقتضي التعايش المتوازن والعلاقات السلبية بين فئات المجتمع أن تتركز النوعية على أسلوب الحكم والمواعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن: (فَلَذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَبَدَّعْ أَهْوَاءَهُمْ) (الشورى/ 15).

-5

العدالة: يشكل العدل أهم أصول التصور الإسلامي للواقع، وأهم الأسس عند التعامل الاجتماعي: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا فَوْأَمِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ) (النساء/ 135). ولعل الآية الكريمة: (وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَدَّانٌ قَوْمٌ عَلَى أَلَا تَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلْقَوْمِ) (المائدة/ 8)، تعبر بدقة عن أهمية العدل في معايير التعايش، حتى في حالات التوتر التي يكاد أن ينسى فيها العدل. ومن خلال النظر إلى طبيعة تعامل دار الإسلام مع غير المسلمين، ندرك البعد الإنساني في عنصر العدل. وهو ما يفسر أيضاً وقوف الإسلام إلى جانب المستضعفين والمحرومين في كل مكان.

-6

تأليف القلوب: في الأحواء التي يحكمها تأليف القلوب، تنفتح النفوس على الحقيقة وتقترب إلى الواقع. ويعود هذا العنصر إلى تشريع سهم المؤلفة قلوبهم في مصارف الزكاة، والذي فتح المجال للوقوف إلى جانب المستضعفين والدفاع عن قضائهم واجتنابهم نحو الإسلام، والانفاق عليهم بما يحقق مصلحة الإسلام العليا، وتعزيز التعايش الإيجابي بين مختلف اتجاهات المجتمع.

-7

الوفاء بالعهد، ويقصد به الوفاء بكل العهود والاتفاقات التي تعقد بين المسلمين وغيرهم: (وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الرَّحْمَةَ كَانَ مَسْدِيًّا) (الإسراء/ 34). ومن هذه العقود ما صرّبه الإسلام وحدد لها قوانينها العامة، ومنها ما يرىولي الأمر ضرورتها لتحقيق مصلحة إسلامية علياً. ومثال الأولى: عقد الهدنة وعقد الأمان، ومثال الثانية: العقود الاقتصادية والعسكرية وغيرها.

-8

التعامل بالمثل: مبدأ جزاء الإحسان بالإحسان، ومبدأ القصاص: مبدأ ان واقعيان يرتضيهما المنطق الإنساني والتعامل الفردي والاجتماعي، وهدفهما ردع الاعتداء واستقطاب القلوب. يقول تعالى:

(اللَّهُمْ رُبُّ الْجَرَامِ بِالشَّهْرِ الرَّجَامِ وَالْجُرُومَاتِ قَصَاصٌ فَمَنْ أَعْتَدَ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا أَعْتَدَتِي عَلَيْكُمْ) (البقرة/ 194).

(لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُمَّ عَنِ الدِّينِ لَمْ يُقْسِطْ لَكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجْكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ) (الممتحنة/ 8).

